

## سورة الدخان

هى مكية ، وعدد آياتها تسع وخمسون ، نزلت بعد الزخرف .  
ومناسبتها لما قبلها من وجوه :

- (١) إنه تعالى ختم ما قبلها بالوعيد والتهديد ، وافتتح هذه بالإندار الشديد .
- (٢) إنه تعالى حكى فيما قبلها قول رسوله صلى الله عليه وسلم : يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون ، وحكى هنا عن أخيه موسى : « فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَأَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ » .
- (٣) إنه قال فيما سلف « فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ » ، وحكى هنا عن موسى « إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُونِى ، وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِى فَاَعْتَرِ لُونِ » ، وهو قريب من ذلك .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

- حَمَّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

## شرح المفردات

ليلة مباركة : هى ليلة القدر ، منذرين أى مخوفين ، يفرق أى يفصل ويبين ، حكيم أى محكم لا يستطيع أن يعطن فيه بحال ، موقنين أى تطلبون اليقين وتريدونه كما يقال مُنْجِدٌ مُّثَمِّمٌ أى يريد نَجْدًا وَتَهَامَةً .

## المعنى الجملى

أقسم جلت قدرته بكتابه الكريم المبين لما فيه صلاح البشر إنه أنزل القرآن في ليلة القدر لإنباز العباد وتخويفهم من عقابه ، وإن هذه الليلة يفصل فيها كل أمر حكيم ، فيبين فيها التشريع النافع للعباد في دنياهم وآخرتهم ، وهو رب السموات والأرض وما بينهما فلا تخفى عليه خافية من أمرهم ، وهو الذى بيده إحيائهم وإماتهم ، وهو ربهم ورب آبائهم الأولين ، ولكنهم يمترون بعد أن وضع الحق ، وأفصح الصبح لدى عينين .

## الإيضاح

(حَم) أسلفنا الكلام في مثل هذا من قبل .

(والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ) أقسم ربنا جلت قدرته بكتابه الجيد إنه بدأ ينزل القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما جاء في قوله « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » من شهر رمضان كما قال سبحانه « شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ » .

والخلاصة — إن بدء نزوله كان في ليلة القدر ثم نزل منجما بعد ذلك في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع حالاً بخلاً ، وقد عقد السيوطى في كتابه «الإتقان» أبواباً لنزول القرآن فقال : باب ما نزل منه صيفاً . باب ما نزل منه شتاء . باب ما نزل منه سفرأ . باب ما نزل منه حضراً . باب ما نزل منه فى الأرض . باب ما نزل منه فى السماء . باب ما نزل منه بين الأرض والسماء . باب ما نزل منه بمكة . باب ما نزل منه بالمدينة . باب ما نزل بين مكة والمدينة — إلى آخر ما قال فليراجع فإن فيه فوائد نفيسة .

ثم بين السبب في إزاله فقال :

(إنا كنا منذرين) أى إنا كنا معلمين الناس ما ينفعهم فيعملون به ، وما يضرهم فيجتنبونه ؛ لتقوم حجة الله على عباده .

ثم بين سبب تخصيص نزوله بتلك الليلة فقال .

(فيها يفرق كل أمر حكيم . أمراً من عندنا) أى في هذه الليلة بدأ يبين سبحانه ما ينفع عباده من أمور محكمة لاتغير فيها ولاتبدل ، بإزاله ذلك التشريع الكامل الذى فيه صلاح البشر وهدايتهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم ، ولاغروا ففى من لدن حكيم عليم بما يصلح شئون عباده في معاشهم ومعادهم .

ثم بين السر في نزول القرآن على لسان رسوله فقال :

(إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك) أى إنا أرسلنا الرسول به رحمة منا لعبادنا حتى يستبين لهم ما يضرهم وما ينفعهم ، وحتى لا يكون لهم حجة بعد إرسال الرسول به . ثم أكد ربوبيته بقوله :

(إنه هو السميع العليم) أى إنه إنما فعل تلك الرحمة ، لأنه هو السميع لأقوالهم ، العليم بما يصلح أحوالهم ، فلا عجب أن أرسله إليهم لحاجتهم إليه . ثم أكد العلة في سمعه للأشياء وعلمه بها فقال :

(رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) أى إنه هو السميع لكل شيء ، العليم به ، لأنه مالك السموات والأرض وما فيها إن كنتم تطلبون معرفة ذلك معرفة يقين لا شك فيه .

وبعد أن أثبت ربوبيته ووحدانيته ذكر فذلكة لذلك فقال :

(لا إله إلا هو يحيى ويميت) أى هو الإله الذى لا تصلح العبادة إلا له ، وهو الحي المميت ، فيحيى ما يشاء مما يقبل الحياة ، ويميت ما يشاء عند انتهاء ما قدر له من الأجل .

(ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو مالكم والمتصرف فيكم ، ومالك آبائكم الأولين ومدبر شئونهم ، فاعبدوه دون آلهتكم التى لا تقدر على ضرر ولا نفع .  
ثم بين أنهم ليسوا بموقنين بالجواب بعد أن تبين لهم الرشد من النى فقال :  
(بل هم فى شك يلعبون) أى بل هم فى شك من التوحيد والبعث والإقرار بأن الله خالقهم ، وإن قالوا ذلك فإنما يقولونه تقليداً لآبائهم من غير علم ؛ إذ هم قابضه بالهزؤ والسخرية فعل اللاعب العابث الذى يأخذ الجِدَّ وما لا مزية فيه ، أخذ الهزل الذى لا فائدة فيه .

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا  
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ  
الدُّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ  
مَجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ  
الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٦).

### شرح المفردات

ارتقب أى انتظر ، من قولهم : رقبته أى انتظرته وحرسته ، والمراد من الدخان ما أصابهم من شدة الجوع من الظلمة فى أبصارهم حتى كأنهم كانوا يرون دخاناً ، فإن الإنسان إذا اشتد خوفه أو ضعفه أظلمت عيناه ورأى الدنيا كالمملوءة دخاناً ، يغشى الناس أى يحيط بهم ، اكشف عنا أى ارفع ، أنى أى كيف يكون ومن أين ، معلم أى يعلمه غلام روى لبعض ثقيف ، وبتش به أخذه بالعنف والسطوة كأبتشه ، والبتش : الأخذ الشديد فى كل شىء والبأس ، قاله صاحب القاموس .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر حال كفار قريش إذ قابلوا الرحمة بالكفران ولم ينتفعوا بالمنزل ولا بالمنزل عليه — أردف هذا بأن أمر نبيّه بالانتظار حتى يحل بهم بأسه ، لأنهم أهل الخذلان والعذاب ، لا أهل الإكرام والغفران .

وفي هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمشركين .  
ثم حكى عنهم مقالهم في شأن الرسول ، فتارة يقولون : إنه معلم ، وأخرى يقولون إنه مجنون ، ثم أوعدهم بأنه سينتقم منهم يوم البطشة الكبرى وهو يوم القيامة ويحازبهم بما قالوا وبما فعلوا ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

## الإيضاح

(فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أى فانتظر يوم يأتى الجذب والمجاعة التى تجعل الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان المنتشر فى الفضاء .  
ومن خبر هذا ما رواه البخارى عن مسروق قال : إن قريشا لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان ، فأنزل الله تعالى «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ — إِلَى أَلِيمٍ»  
فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله : استسقى الله تعالى ، فاستسقى لهم فسقوا ، فأنزل الله «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم الأولى فأنزل الله «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ» فانتقم الله منهم يوم بدر .

(يفشى الناس هذا عذاب أليم) أى يحيط بهم من كل جانب ، فيقولون : هذا عذاب مؤلم يقض المضاجع وينتهى إلى موت محقق إن دام .

ثم بين أنهم وعدوا الرسول أن يؤمنوا إذا كشف عنهم العذاب كما كان يحدث من قوم فرعون حين نزول الرجز بهم فقال :

( ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ) أى ربنا إنا سنؤمن إن كشفت عنا العذاب ، وهذه هى طبيعة البشر إذا هم وقعوا فى شدة أيا كانت أن يعدوا بالتوبة والإقلاع عما هم فيه ، ولكن النفوس الشريرة ، لا تتجه إلى فعل الخير ، ولا تفعل ما تقترب به إلى ربها ، انتظارا لمثوبته ، ورجاء فى غفرانه ورحمته .

روى أنه لما اشتد القحط بقريش مشى أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم وواعده إن دعا لهم وزال ما بهم أن يؤمنوا .

ثم نبى صدقهم فى الوعد وأن غرضهم كشف العذاب لحسب فقال :

( أئى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . ثم تولوا عنه وقالوا معلمّ مجنون ؟ )  
أى كيف يتذكرون ويتعظون ويفنون بما وعدوا به من الإيمان حين يكشف عنهم العذاب ، وقد جاءهم الرسول بما هو كافٍ فى رجوعهم إلى الحق فلم يرجعوا ، بل قال بعضهم : إن القرآن إنما يعلمه له غلام رومى لبعض ثقيف ، وقال آخرون : إنه أصيب بحبل إذ تلقى إليه الجن هذه الكلمات حين يعرض له العشى .

والخلاصة — إن التوبة إما أن تكون بما ينال الناس من النوائب ، وإما أن تكون بما يتضح لهم من الحقائق ، وهؤلاء قد اتضحت لهم وجوه الصواب فلم يفقهوا فأخذناهم بالعذاب ، واسكن كيف يرجعون به وقد ذكرناهم بالآيات وأريناهم الحقائق وهى أجمع أثرا من العقاب فلم يؤمنوا وقالوا ما قالوا .

ثم نبه إلى أنهم لا يفون بعهدهم ، بل إذا زال الخوف تكصوا على أعقابهم ورجعوا سيرتهم الأولى وعضوا على الكفر بالنواخذ ، وساروا على طريق الآباء والأجداد فقال :

( إنا كاشفو العذاب قليلا إنهم عائدون ) أى إنا رافعو هذا الضر الناازل بكم

بالخصب الذي نوجده لكم زمنا يسيرا ، وإنا لنعلم أنكم عائدون إلى سيرتكم الأولى من تمسككم بالكفر وترك الحق وراءكم ظهريا ، لما في طباعكم من الميل إلى عبادة الأوثان ، وتقليد الآباء والأجداد .

ولما كان العذاب الأليم لم يؤثر ، والإصلاح بالعلم والإيمان لم ينفذ ، أمهلناهم إلى يوم البطشة الكبرى حيث لا توبة بعدها فينتقم الله منهم ، وهذا ما عنده سبحانه بقوله :  
( يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ) أى إنا يوم القيامة لنسلطن عليهم .  
بأسنا ، وننتقم منهم أشد الانتقام ، ولا يجذبن شفيعا ولا وليا ولا نصيرا يمنع عنهم عقابنا ، فيندم من ، ولات ساعة مندم .

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَذُوا  
إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ  
بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ  
تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُوكِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَأَ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرَ  
بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ  
مُفْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوُونَ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ  
كَرِيمٍ (٢٦) وَنِعْمَةَ كَانُوا فِيهَا فَآكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا  
آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩)  
وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ  
عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدْ اخْتَرْنَاكُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ  
مِنَ آيَاتٍ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣)

## شرح المفردات

فتنا : أى بلونا وامتحنا ، كريم : أى جامع لخصال الخير والأفعال المحمودة قاله  
الراغب ، أدوا إلى عباد الله : أى أطلقوا وسلموا ، أمين : أى أئتمنه الله على وحيه  
ورسالته ، وأن لاتعلوا على الله أى لاتستكبروا على الله بالاستهانة بوحيه ، بسطان مبین :  
أى بحجة واضحة لاسبيل إلى إنكارها ، عدت ربى وربكم : أى التجأت إليه وتوكلت  
عليه ، أن ترجون : أى تؤذونى ضرباً أو شتماً ، فاعزلون : أى كونوا بمعزل منى  
لاعلى ولا لى ولا تتعرضوا لى بسوء ، مجرمون : أى كافرون ، أمر بعبادى : أى سر  
بهم ليلا ، متبعون : أى يتبعكم فرعون وقومه ، رهوا : أى ساكننا ، يقال عيش راه  
إذا كان خافضاً وادعاً ، وافعل ذلك سهوا رهوا : أى ساكننا بغير تشدد ، قال  
القطامى فى وصف الركب :

يَمْسِينُ رَهْوًا فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَّكِلُ

مقام كريم : أى مجالس ومنازل حسنة ، نعمة : أى حسن ونضرة ، قال صاحب  
الكشاف : النعمة (بالفتح) من التعم ، (وبالكسر) من الإنعام ، فاكهين : أى  
طيبى الأنفس ناعمين ، فما بكت عليهم السماء : أى لم تكثرث لهلاكهم ولا اعتدت  
بوجودهم ، وقد جرى الناس أن يقولوا حين هلاك الرجل العظيم الشأن : إنه قد أظلمت  
الدنيا لفقده ، وكسفت الشمس والقمر له — وبكت عليه السماء والأرض كما قال :  
جرير يريثى عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

الشمس طامعة ليست بكاسفة تبيكى عليك نجوم الليل والقمر

منظرين أى مهملين ومؤخرين ، العذاب المهين أى الشديد الإهانة والإذلال ،  
عالياً أى جباراً متكبراً ، من المسرفين أى فى الشر والفساد ، اخترناهم أى اصطفيناهم ،  
على علم أى عالين باستحقاقهم ذلك ، على العالمين أى عالمى زمانهم ، الآيات أى المعجزات  
كفلق البحر وظليل الغمام وإزال المن والسوى ، بلاء مبین أى اختبار ظاهر .

## المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن مشركى مكة أصروا على كفرهم ولم يؤمنوا برسولهم — أردف هذا ببيان أن هؤلاء ليسوا ببدع فى الأمم ، فكثير قبلهم كذبوا رسلهم ، فهام أولاء قوم فرعون قد كان منهم مع موسى مثل ما كان من قومك معك بعد أن أتاهم بالبينات التى كانت تدعو إلى تصديقه ، فكذبوه فنصره الله عليهم وأغرق فرعون وقومه وجعلهم مثالا للآخرين .

## الإيضاح

( ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم . أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين ) أى ولقد اخترنا قبل مشركى قومك — قوم فرعون وهم مثال قومك فى جبروتهم وطمعياتهم ، وعتوتهم واستكبارهم ، فأرسلنا إليهم الرسول الكريم موسى عليه السلام فقال لهم : أيها القوم أرسلوا معى بنى إسرائيل وأطلقوهم من أسركم وتعذيبكم ، إني رسول من الله مأمون على ما أبلغكم غير متهم فيه .

ونحو الآية قوله عز اسمه : « أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبَهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى » .

( وأن لاتملوا على الله إني أتيتكم بسلطان مبين ) أى وأن لاتظفروا وتبغوا على ربكم فتكفروا به وتمصوه فتخالفوا أمره — لأنى أتيتكم بحجة واضحة على حقية ما أدعوكم إليه ، لمن تأملها وتدبر فيها .

( وإني عدت بربى وربكم أن ترجون ) أى وإني أتجى إلى الله الذى خلقنى وخلقكم أن لاتصلوا إلى بسوء من قول أو فعل .

( وإن لم تؤمنوا لى فاعزلون ) أى وإن أتم لم تصدقونى فيما جئتكم به من عند

ر بكم نخلوا سبيلي ولا ترجعوني بالاسان ولا باليد ، ودعوا الأمر بينى وبينكم مسألة إلى أن يقضى الله بيننا :

ولما طال مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ، وأقام حجج الله عليهم ، ولم يزدهم ذلك إلا كفرأً وعناداً دعا عليهم ، وإلى ذلك أشار بقوله :

( فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون ) أى فدعا ربه إذ كذبوه ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا إليه عباد الله وهو بقتله : بأن هؤلاء قوم مشركون بك مكذبون لرسلك .

ونحو الآية قوله : « وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ، رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا » .

وحينئذ أمره الله أن يخرج بينى إسرائيل من بين أظهرهم بلا أمر فرعون ولا مشورته ، وإلى ذلك أشار بقوله :

( فأمر بعبادى ليلا ) أى فسر بينى إسرائيل ومن آمن معك من القبط ليلا .

ثم علل الشرى ليلا فقال :

( إنكم متبعون ) أى إن فرعون وقومه سيتبعونكم إذا علموا بخروجكم ، ومسيركم ليلاً يؤخر عنهم بذلك ، فلا يدر كونكم .

ونحو الآية قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا . لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى » .

( وأترك البحر رهوا إنهم جند مفرقون ) أى وإذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله التى كان عليها حين دخلته حتى يدخله فرعون وقومه فيغرقوا فيه .

روى أن موسى عليه السلام لما قطع البحر رجح ليضربه بعصاه حتى يلتئم خوفاً من فرعون وجنوده أن يتبعوه ، فأمر أن يتركه كما هو حتى يدخلوه .  
وإنما أخبر موسى بفرقهم ليطمئن قلبه فيترك البحر كما هو .

ولما أخبر بفرقهم ذكر ما خلفوه فقال :

( كم تركوا من جنات وعبور وزروع . ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين )  
أي كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم من بساتين فيحاء ، وحدائق غناء ، وزروع ناضرة ، وقصور شاهقة ، فقد كانوا في بلهنية من العيش ، وسعة في الرزق ، وخفض ودعة ، وسرور وجبور .

ثم أكد هذا بقوله :

( كذلك ) أي هكذا فعلنا بهؤلاء الذين كذبوا رسولنا ، وهكذا فعل بكل من عصانا وخالف أمرنا .

( وأورثناها قوما آخرين ) أي وأورثنا تلك البلاد بما فيها من خير عظيم ، ونعيم عظيم ، قوما غير أهلها ممن لا يمتنون إليهم بقرابة ولا دين ، فقد تغلب على مصر الآشوريون والبابليون حينئذ ، والحلب حينئذ آخر ، ثم الفرس مدة واليونان أخرى ثم الرومان من بعدهم ، ثم العرب ثم الطولونيون والإخشيديون والفاطميون والماليك البرية والبحرية والترك والفرنسيون والإنكليز . وهانحن أولاء نجاهد لنحظى بخروجهم من ديارنا ونتمكن من استقلال بلادنا ، والله الأمر من قبل ومن بعد « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ثم سخر منهم واستهزأ بهم حين هلكوا فقال :

( فما بكت عليهم السماء والأرض ) كان هؤلاء القوم يستمظفون أنفسهم ويظنون أنهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك على ما جرت به العادة في مهلك العظيم .

أن يقولوا بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ونحو ذلك . قال يزيد ابن مفرغ :

الريحُ تبكى شجوهَ والبرق يلعب في غمامه

فأخبر سبحانه بأن هؤلاء كانوا دون ذلك فما بكت عليهم السماء ولا أرض .  
(وما كانوا منظرين) أى وما أهلوا لتوبة أو تدارك تقصير ، بل مجل لهم العذاب .

ولما بين كيفية إهلاك فرعون وقومه ، أردف ذلك بذكر إحسانه إلى موسى وقومه فقال :

( ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين . من فرعون إنه كان عاليا من السرفين ) أى ولقد خلاصناهم بإهلاك عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الأبناء واستحياء النساء وتكليفهم بالأعمال الشاقة ، إلى نحو ذلك من وسائل الخسف والضم إذ كان جبارا مستكبرا مسرفا فى الشر والفساد ، ولا أدل على ذلك من ادعائه الألوهية ؛ إذ قال : أنا ربكم الأعلى .

ونحو الآية قوله تعالى : « إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا » .  
وبعد أن بين طريق دفعه للضر عنهم ، أردف ذلك بذكر ما أكرمهم به فقال :  
( ولقد اخترناهم على علم على العالمين ) أى ولقد اصطفيناهم على عالمى زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب وأرسلنا فيهم من الرسل ، ونحن عالمون بأنهم أهل لكل مكرمة وفضل .

( وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ) أى وأعطيناهم من الأمور ذوات الخطر الدالة على كرامتهم عندنا ، ما فيه عبرة لمن تأمل فيه ، فأنجيناهم من عدوهم ، وظلنا عليهم النعام ، وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، إلى نحو أولئك .

قال الحسن وقتادة : البلاء المبين النعمة الظاهرة على نحو ما جاء في قوله :  
 « وَلِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا » وقوله : « وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً » .

إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ  
 بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا يَا بَنِيَّ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَمْ خَيْرٌ أُمَّ قَوْمٍ  
 تَبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧)

### شرح المفردات

بمنشرين : أى بمموتين؛ يقال نشر الله الموتى وأنشرم إذا أحيام ، وتبع : واحد  
 التبابعة ، وهم ملوك اليمن ، وهذا اللقب أشبه بفرعون لدى قدماء المصريين ، وهم  
 طبقتان : الطبقة الأولى ملوك سبأ وريدان من سنة ١١٥ قبل الميلاد إلى ٢٧٥ بعده .  
 والطبقة الثانية ملوك سبأ وريدان وحضرموت والشَّحْر من سنة ٢٧٥ بعد الميلاد  
 إلى سنة ٥٢٥؛ وأولهم شمر برعش، وآخرهم ذونواس ثم ذو جَدَنَ، ومنهم ذوالقرنين  
 أو إفريقش، ويسمى الصعب . وبعده عمرو زوج بلقيس ثم أبو بكر ابنه ثم ذونواس،  
 والذين اشتهروا من هؤلاء الملوك ثلاثة شمر برعش وذو القرنين وأسعد أبو كرب .

### المعنى الجملى

عود على بدء — كان الكلام أولاً فى كفار قريش؛ إذ قال فيهم : بل هم  
 فى شك يلعبون؛ أى إنهم فى شك من البعث والقيامة ، ثم بين كيف أصروا على  
 كفرهم ، ثم ذكر أن قوم فرعون كانوا فى إصرارهم على الكفر كهؤلاء ، وقد أهلكتهم  
 الله وأنجى بنى إسرائيل ، ثم رجع إلى الحديث الأول ، وهو إنكارهم للبعث وقولهم  
 إنه لآحياة بعد هذه الحياة ، فإن كنتم صادقين فاسألوا ربكم يعجل لنا إحياء من

مات حتى يكون ذلك دليلاً على صدق دعواكم النبوة والبعث في القيامة ، ثم توعدهم بأنه سيستن بهم سنة من قبلهم من المكذبين ، فقد أهلك من هم أقوى منهم بطشاً وأكثر جنداً ، وهم قوم تبع ملوك اليمين من قحطان ، فذار أن تصرّوا على الكفر حتى لا يحيق بكم بأس ربكم .

## الإيضاح

(إن هؤلاء ليقولون . إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين) أي إن هؤلاء المشركين من أهل مكة يقولون : ما تمّ إلا هذه الحياة الدنيا ، ولا حياة بعد المات ، ولا بعث ولا نشور .

ثم خاطبوا من وعدوهم بالنشور ، وهم النبي وأصحابه وقالوا لهم :  
(فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) أي إن كان البعث حقاً كما تقولون فمجلوا لنا بإحياء آبائنا الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا إن كنتم صادقين فيا تدعون .  
وهذه حجة داحضة ، فإن المعاد يوم القيامة بعد انقضاء الدار الدنيا حين يعيد الله العالمين خلقاً جديداً ، ومن ثم لم يتعرض الكتاب الكريم لردّ ما قالوا ، بل قال لهم مهدداً متوعداً منذراً بأسه الذي لا يرد :

(أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم إنهم كانوا مجرمين) أي إن نظراءهم المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع أهلكتهم الله وخرّب ديارهم وشرّدهم في البلاد شذراً مذراً ، وقد كانوا أقوى منهم جنداً وأكثر عدداً ، وكانت لهم دولة وصولة ، وهؤلاء ليسوا في شيء من ذلك — وكذلك فعل بمن قبلهم كما د وعود إذ كانوا في خسرات مبين بكفرهم وإنكارهم للبعث والنشور ، فليحذر هؤلاء أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك « سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا » .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهَا  
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَمْلَهُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ  
 أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١)  
 إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) .

### شرح المفردات

لاعين ، أى عابثين ، بالحق ، أى بسبب الحق وهو الإيمان بالله والطاعة له ، يوم  
 الفصل: هو القيامة؛ سمي بذلك لأنه يفصل فيه بين الحق والباطل ، ميقاتهم: أى وقت  
 موعدهم ، يغنى أى ينفع ، مولى : أى ابن عم أو حليف .

### الإيضاح

(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لأعين) أى وما خلقنا الخلق عبثاً بأن  
 نوجدهم ثم نغنيهم بغير امتحان بطاعتنا ، واتباع أمرنا ونهيها ، وبغير مجازاة للطيع  
 على طاعته ، والعاصي على معصيته ، بل خلقناهم لنبتلى من أردنا امتحانه منهم بما  
 شئنا ، ولنجزى الذين أساءوا بما عملوا ، ونجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

وقد سبق نحو هذا فى سورة « يونس » وسورة « المؤمنون » حيث قال :  
 « أَحْسَبْتُمْ أَمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَاتَرْجِعُونَ » وفى سورة ص إذ قال :  
 « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ  
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ » .

( ما خلقناها إلا بالحق ) أى ما خلقناها إلا خلقاً ملتبساً بالحق ، وهو الدلالة  
 بها على وحدانية الخالق لها ، ووجوب طاعته ، والإنابة إليه لعظمته وجبروته

كما جاء في الحديث القدسي « كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق في عرفوني » .

(ولكن أكثرهم لا يعطون) أى ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعملون ذلك ، فهم لا يخافون من سخطه عقوبة لهم على ما اجترحوا من السيئات ، ولا يرجون ثوابا على خير فعلوه لتكذيبهم بالميعاد والعودة إلى دار أخرى بعد هذه الدار .  
وخلاصة ما تقدم — إن هؤلاء لقلّة تدبرهم لا يعتقدون أن الأمر كذلك ، وهم واهمون فيما يظنون ، إذ لو لم توجد دار للجزاء لما امتاز مطيع من عاص ، ولا محسن من مسيء ، والعقل قاضٍ بغير هذا .

ثم أكد ما سلف بقوله :

( إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ) أى إن هذا اليوم الذى يفصل الله فيه بين خلقه ، فيحق الحق ، ويبطل الباطل ، لآت لا محالة وهو وقت حسابهم ، وجزائهم على ما كسبت أيديهم من خير أو شر .

ونحو الآية قوله : « لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ » وقوله « إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتَنَا » .

ثم وصف أهوال هذا اليوم فقال :

( يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ) أى إن هذا يوم تنقطع فيه الأسباب بابن آدم فلا تنفع الناس إلا أعمالهم ، فمن أصاب خيرا فى دنياه سعد به ومن أصاب شرا شقى به ، ولا يغنى القريب عن القريب ولا يدفع عنه شيئا من عذاب الله ، ولا يجدد الناصر الذى يقبه ذلك العذاب .

وقصارى ذلك — لا يفيد المؤمن الكافر ولا ينصره ولو كان بينهما فى الدنيا حُلقة من قرابة أو صداقة أو غيرها .

ونحو الآية قوله : « فَإِذَا نَفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ » وقوله « وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبْصَرُونَهُمْ » .  
 (إلا من رحم الله) أى لكن من رحم الله فإنه لا يحتاج إلى قريب ينفعه ولا إلى ناصر ينصره قاله الكسائى .  
 (إنه هو العزيز الرحيم) أى إن الله هو العزيز فى انتقامه من أعدائه ، الرحيم بأوليائه وأهل طاعته .

إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي  
 الْبُطُونِ (٤٥) كغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧)  
 ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
 الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) .

### شرح المفردات

شجرة الزقوم : هى شجرة ذات ثمر مرة ينبت بهامة ، شبت بها الشجرة التى تنبت فى الجحيم ، والأثيم : أى الكثير الآثام والذنوب وهو الكافر ، والمهل : ددىء الزيت ، والحميم : الماء الذى تنهى حره ، والعتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتجره إليك وتذهب به إلى حبس أو محنة . وقال ابن السكيت : عتلته إلى السجن وأعتلته إذا دفعته دفعا عنيفا ، وسواء الجحيم : وسطها .

### الإيضاح

(إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم) أى إن الزقوم وهو ثمر هذه الشجرة التى فى الجحيم — طعام للكافر كثير الذنوب والآثام .

( كالمهل يغلي في البطون . كعلي الجحيم ) أى وهذا الطعام الذى يشبه دردى الزيت الأسود — يغلي في بطون الكفار ويكون كالماء الحار إذا اشتد غليانه .  
 ( خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ) أى ويقال للزبانية « خدم جهنم » خذوا هذا الحجر فادفعوه دفعا إلى وسط جهنم ، لينال قسطه من عذابها .  
 ( ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم ) أى وبعد أن تُدخِلوه فيها صبوا فوق رأسه من الماء الساخن الذى ذكرنا صفته .

ونحو الآية قوله تعالى : « يُصَبُّ مِنْ قَوْقِرُهُمْ سِخِيمٌ . يُضْمَرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ » .

ثم ذكر ما يقال له آتخذ تقريرا وتهمكا .

( ذق إنك أنت العزيز الكريم ) أى ذق هذا الذل والهوان اليوم ، فإنك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم ، وها هو ذا قد تبين لك أنك أنت الذليل المهين ، فأين ما كنت تقول وتدعى من العز والكرامة ؟ فهلا تمتنع من العذاب بعزتك .

أخرج الأموى في مغازيه عن عكرمة قال : لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل فقال له : إن الله أمرنى أن أقول لك : أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ، فنزع يده من يده وقال بأى شيء تهددنى ، ما تستطيع أنت ولا صاحبك أن تفعلأ بى شيئا ؛ إبنى أعز هذا الوادى وأكرمه ، لقد علمت أنى أمتنع أهل بطحاء على قومه ، فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته فأنزل « ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » .  
 ( إن هذا ما كنتم به تمترون ) أى إن هذا العذاب الذى تمذبون به هو العذاب الذى كنتم تشكون فيه فى الدنيا ، فتختصمون فيه ولا توقنون به ، فقد لقيتموه فذوقوه .

ونحو الآية قوله تعالى « يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا . هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ » .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ  
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤)  
 يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ  
 الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
 الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ  
 إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩) .

### شرح المفردات

في مقام أمين : أى في مجلس أمنوا فيه من كل هم وحزن ، سندس : أى ديباج  
 رقيق ، إستبرق : أى حرير فيه بريق ولعان ، وزوجناهم : أى قرناهم ، بحور عين : أى  
 بحوار بيض حسان واسعات العيون ، يدعون : أى يطلبون ، وقاهم : أى حفظهم ،  
 ارتقب : أى انتظر .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر وعيد الكافرين وما يروونه من الأهوال في ذلك اليوم — أعقب  
 هذا بوعد التتقين بما يلاقونه في جنات النعيم من ضروب التكريم في اللبس والزوجات  
 والمآكل ، ثم يبيان أن هذا النعيم أبدي خالد لا يعقبه موت ولا تحوّل ولا انتقال ،  
 ثم ختم السورة بالمنة على العرب في نزول القرآن بلغتهم لعلمهم يعتبرون ويتعظون به ،  
 ثم توعدهم إذا هم كذبوا بما جاء به الرسول بخول النعمة بهم ، والنصر له عليهم ،  
 كما هي سنته في أمثالهم من المكذبين « كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبِينَ أَنَا وَرُسُلِي » .

## الإيضاح

(إن المتقين في مقام أمين) أى إن المتقين لله في الدنيا الخائفين عقابه ، المنتظرين فضله وثوابه — يكونون في الآخرة في مجالس يأمنون فيها من الموت ومن كل ما يحزنهم ويصيبهم من الآفات والآلام .

وقد ذكر سبحانه من ضروب نعيمهم خمسة ألوان :

(١) مساكنهم كما قال « في مقام أمين . في جنات وعيون » . والمسكن

يطيب بأمرين :

(أ) أن يكون من فيه آمنا من جميع ما يخافه ويحذر منه ، وهو المقام الأمين .

(ب) أن يكون فيه أسباب النزهة من الجنات والعيون ، وذلك قوله :

« في جنات وعيون » .

(٢) ملابسهم ، وهي التي عنها سبحانه بقوله :

يلبسون من سندس وإستبرق ) وقد تقدم بسط الكلام في ذلك في

سورة الكهف .

(٣) استئناس بعضهم ببعض بجلاوسهم على جهة التقابل ، وهو ما أشار إليه بقوله :

(متقابلين) أى ينظر بعضهم إلى بعض ، وهو أتم الأتس .

(٤) الأزواج كما قال :

(كذلك وزواجنهم بحور عين) أى وهذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات

الحور العين اللاتي لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان .

(٥) الماء كقول كما قال :

(يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى يطلبون ما يشتهون من أنواع الفاكهة ،

وهم آمنون من انقطاعها ، ومن غائلة أذاها ومكروها ، فهي ليست كفاكهة الدنيا

التي نأكلها ونخاف مكروه عاقبتها ، أو نخاف نفاذها في بعض الأحيان .

وبعد أن وصف ما هم فيه من نعيم مقيم ، بين أن حياتهم في هذا النعيم دأمة لا يلحقها موت ولا فناء فقال :

( لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ) أى لا يخشون في الجنة موتا ولا فناء أبدا . وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم هذا في سورة مريم .

وروى أبو هريرة وأبو سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسموا أبدا ، وإن لكم أن تمشوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تنعبوا فلا تبأسوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا » رواه مسلم .

وخلاصة ذلك — لا يدوقون فيها الموت لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا كذا قال الزجاج والقرآء .

( ووقاهم عذاب الجحيم ) أى وهم مع هذا النعيم قد نجاهم من العذاب الأليم ، في دركات الجحيم ، فأعظام ما يطلبون ، ونجاهم مما يهرون .  
( فضلا من ربك ) أى نجاهم من ذلك فضلا منه وإحسانا .

( ذلك هو الفوز العظيم ) أى ذلك الذى أعطيناه هؤلاء المتقين من الكرامة هو الفوز العظيم بما كانوا يطلبون إدراكه في الدنيا بأعمالهم ، وطاعتهم لربهم ، وافتقارهم إياه ، فيما امتحنهم به من الطاعات ، واجتنابهم للمحرمات .  
ولما أتم المقاصد التى أراد ذكرها في هذه السورة تلخصها بقوله :

( فإنا يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ) أى إنما سهلنا إليك قراءة القرآن الذى أنزلناه إليك بلسانك ، ليتذكر به قومك ويتعظوا بعبثاته ، ويتفكروا في آياته إذا تلوتها عليهم ، فينبوا إلى ربهم ، ويدعوا للحق الذى تبينوه .

ولما كان القرآن مع هذا الوضوح والبيان قد خالف فيه بعض الناس وعاند ، قال تعالى مسلماً لرسوله وواعداً له بالنصر ، ومتوعداً من كذبه بالهلاك .

(فارتقب إنهم مرتقبون) أي فانتظر فإنهم منتظرون ، وسيعلمون لمن تكون النصر والغلبة ، والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة . ولاشك أن النصر سيكون لك كما كان لإخوانك من النبيين والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين كما قال : « إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ » .

وقصارى ذلك — ارتقب النصر من ربك ، إن المشركين مرتقبون بك ما يمتدونه من الفوائل ، وما يتربصونه بك من الدوائر ، ولن يضيرك ذلك بفضل ربك عليك ، وسيتم نصرك ، ويُفلج حجتك ، ويُعلَى كلمتك . اللهم يامن بيدك الخير ، وأنت على كل شيء قدير ، وفقنا لإتمام تفسير كتابك ، واجعله لنا نورا يوم العرض والحساب .

### خلاصة ما تضمنته هذه السورة الكريمة من المقاصد

- (١) بيان بدء نزول القرآن .
- (٢) وعيد الكافرين بحلول الجذب والتحط بهم .
- (٣) عدم إيمانهم مع توالى النكبات بهم .
- (٤) عظة الكافرين بقصص فرعون وقومه مع موسى عليه السلام ، وقد أنجى الله المؤمنين ، وأهلك الكافرين .
- (٥) إنكار المشركين للبعث وقولهم : إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين .
- (٦) إقامة الدليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
- (٧) وصف أهوال يوم القيامة .
- (٨) وصف ما يلاقيه المجرمون من النكال والوبال .
- (٩) وصف نعم المتقين وحصولهم على كل ما يرغبون .